١ ـ حياة الفيلسوف

ولد لودفيج يوهان ڤتجنشتين : Ludwig Joseph Johann Wittgenstein في السادس والعشرين من أبريل سنة ١٨٨٩[١] .

وكان والده مهندساً مرموقاً يشغل منصباً قيادياً في صناعة الحديد والصلب بالنمسا ، كما كان لأم ڤتجنشتين أثر بالغ في خلق الميل الفني القوى في الأسرة ، فقد كانت هي وزوجها موسيقيين من الدرجة الأولى ، حتى لقد أصبح منزل ڤتجنشتين في وقت ما مركزاً لحياة موسيقية جميلة ، وخاصة حينما كان يتردد عليهم صديق الأسرة الحميم يوهان برامز Brahms [٢] الموسيقار العالمي الشهير .

وكان لودفيج الابن الثامن في هذه الأسرة ، فكان أصغر خمسة إخوة وثلاث أخوات سخت الطبيعة معهم جميعاً سواء في الخلق أو المواهب العقلية أو الفنية .

وقد تلقى ڤتجنشتين تعليمه الأولى في المنزل حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره حين التحق بمدرسة لينتز Lintz في شمال النمسا لمدة ثلاث سنوات ، وكانت رغبته في أن يدرس العلوم الطبيعية على يد بولتزمان Boltzmann [٣] في فينا ، إلا أن بولتزمان توفى عام ١٩٠٦ ، وهي السنة نفسها التي أنهى فيها دراسته في

---

(١) وقد نشر هذا المقال في ذكرى ڤتجنشتين *Von Wright, G.H.* Biographical Sketch, P. 22

وذلك في كتاب : *Norman Malcom*: Ludwig Wittgenstein, (A Memoir) (London, Oxford University Press, 2nd Edition, 1962).

(٢) نفس المرجع السابق ، نفس الموضع .

(٣) كان أستاذاً لفلسفة العلوم في جامعة فينا من عام ١٩٠٢ – ١٩٠٦ وقد تولى هذا المنصب بعد أرنست ماخ Ernest Mach مباشرة .

المدرسة ، فالتحق ڤتجنشتين بالأكاديمية الصناعية العليا فى برلين . ومما هو جدير بالذكر أن هذه الدراسة كانت متفقه مع ميوله ، فاهتمامه بالآلات كان ملازماً له طول حياته ، ومما يروى عنه أنه استطاع وهو طفل صغير أن يقوم بتركيب آلة لحياكة الملابس أثارت إعجاب الجميع . كما يروى عنه أنه حتى فى آخر سنوات حياته كان يقضى أحياناً يوماً بأكمله أمام المحركات البخارية فى متحف ساوث كنزنجتون South Kensington[1] .

وظل ڤتجنشتين فى برلين حتى ربيع عام ١٩٠٨ ثم ذهب إلى إنجلترا ، وفى صيف العام نفسه كان يقوم بعدة اختبارات على الطائرات الشراعية فى محطة الطيران الشراعى للفضاء الأعلى بالقرب من جلوسوب Glossob فى مقاطعة دربى شاير Derby Shire وفى خريف العام نفسه تم قيده طالب بحث فى قسم الهندسة بجامعة مانشستر ، وظل مقيداً بها حتى خريف عام١٩١١ وكان أثناء هذه السنوات الثلاث مشغولا ببحث فى الملاحة الجوية ثم انتقل من تجاربه الخاصة بالطائرات الشراعية إلى إنشاء محرك نفاث يستخدم فى الطائرات وكان عمل المحرك أول الأمر هو موضع اهتمامه ، إلا أنه سرعان ما ركز كل اهتمامه على تصميم رفاص المحرك، وكان هذا التصميم فى أساسه عملية رياضية ، الأمر الذى وجه ڤتجنشتين إلى الاهتمام بالرياضة ، ومنذ ذلك الوقت على وجه التحديد بدأت اتجاهات ڤتجنشتين تتغير ، فاتجه أولا إلى الرياضة البحتة ثم إلى أسس الرياضيات[2] .

والواقع أن السنوات الست (بين ١٩٠٦ و ١٩١٢) كانت من أصعب الفترات فى حياة ڤتجنشتين بالنسبة لاختياره للمهنة التى يريد أن يتجه إليها ، ويقول فون رايت فى هذا الصدد : « إن ڤتجنشتين أخبرنى أنه لم يكن سعيداً طوال

---

(١) نفس المرجع السابق صفحة ٣ .

(٢) نفس المرجع السابق صفحة ٤ .

هذه السنوات[١]»، وخير ما يشهد بذلك عدم الاستقرار الذى كان يشعر به والتغير الذى حدث له أثناء هذه الفترة مثل رحيله من ألمانيا إلى إنجلترا ، ثم تجاربه فى الملاحة الجوية ، ثم بنائه محركاً نفاثاً ، ثم اهتمامه بالرياضة البحتة ثم أخيراً اهتمامه بفلسفة الرياضة . ويروى رسل عنه هذه الرواية التى تعبر عن عدم استقراره فى إحدى فترات حياته فيقول إن ڤتجنشتين جاءه بعد نهاية الفترة الدراسية الأولى التى قضاها فى كمبردج وسأله « أرجو أن تخبرنى إن كنت غبيًّا » فأجبته « إننى لا أعرف لماذا تسألنى » فقال « لأننى إذا كنت غبيًّا فسأصبح ملاحاً جويًّا ، وإذا لم أكن غبيًّا فسأصبح فيلسوفاً » حينئذ طلبت إليه أن يكتب لى شيئاً أثناء العطلة حول أى موضوع فلسفى وسوف أخبره عندئذ ما إذا كان غبيًّا أم لا ، ومع بداية الفترة الدراسية التالية أحضر لى ما طلبته منه ، وبعد أن قرأت جملة واحدة منه فقط قلت له : « لا ، يجب عليك ألا تصبح ملاحاً جويًّا »[٢] .

ويروى عن ڤتجنشتين أنه طلب نصيحة أصدقائه وأساتذته ليرشدوه إلى كيفية دراسة الجزء النظرى من أسس الرياضيات ، فوجهوه إلى كتاب « أصول الرياضيات » لبرتراند رسل الذى كان قد ظهر عام ١٩٠٣ . ويبدو بوضوح الأثر الذى تركه هذا الكتاب فى تطوير أفكار ڤتجنشتين ، بل إن فون رايت يرجح أن يكون هذا الكتاب هو الذى وجه ڤتجنشتين إلى دراسة مؤلفات فريجه G. Frege بعد ذلك[٣] .

وفى عام ١٩١١ قرر ڤتجنشتين أن يتوقف عن دراسة الهندسة ، وذهب إلى ينا Jena فى ألمانيا لكى يناقش أفكاره عن أسس الرياضة مع فريجه الذى نصحه

---

(١) نفس المرجع السابق نفس الموضع .

(٢) برتراند رسل : صور من الذاكرة — ترجمة أحمد الشريف ، مراجعة دكتور زكى نجيب محمود ، دار الفكر العربى — القاهرة ، ١٩٦٣ (سلسلة الألف كتاب رقم ٤٧٠) ، صفحة ٢٨ .

(٣) *Von Wright* : Biographical Sketch, P. 5.

بالتوجه إلى كمبردج للدراسة مع رسل ، وقد نفذ ڤتجنشتين هذه النصيحة فى خريف العام نفسه الذى تم قبوله فيه طالباً عادياً بكلية ترينيتى بجامعة كمبردج ، ثم قبوله طالباً للدراسات العليا ، واستمر فى دراسته فى كمبردج حتى خريف ١٩١٣ حين زار مع صديقه فى الجامعة دافيد بنسنت David Pinsent [١] النرويج ، التى عاد إليها مرة ثانية فى أكتوبر من العام نفسه لشدة إعجابه بها ، وأقام فى مزرعة بمقاطعة سكولدن Skjolden شمال شرقى بيرجن Bergen ، وبنى لنفسه فى مكان منعزل بها كوخاً استطاع أن يعيش فيه فى عزلة كاملة أغلب وقته ، فى بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، ومما هو جدير بالذكر أنه تعلم اللغة النرويجية فى هذه الفترة واستطاع أن يتكلمها بطريقة جيدة .

وقد اهتم ڤتجنشتين أثناء دراسته فى كمبردج بالفلسفة وبأسس الرياضيات اهتماماً كبيراً ، كما استفاد من النشاط الفكرى الضخم الذى كان موجوداً فى كمبردج قبيل الحرب العالمية الأولى ، إذ كان رسل فى أوج تفكيره الفلسفى والمنطقى وأخرج هو والفريد نورث هوايتهد كتابهما « مبادئ الرياضيات » Principia Mathematica الذى يعد أحد العلامات المميزة فى تاريخ المنطق [٢] .

إلا أن اهتمام ڤتجنشتين لم يكن وقفاً على الفلسفة والمنطق والرياضيات أثناء دراسته فى كمبردج ، بل إنه اهتم كذلك بعلم النفس ، وقام بإجراء بحث تجريبى متعلق بالإيقاع فى الموسيقى بمعمل علم النفس بالجامعة ، وكان يأمل أن تلقى تجاربه بعض الضوء على مشكلات علم الجمال الذى كان يهتم به أيضاً فى ذلك الوقت . وقد ساعد ڤتجنشتين على إجراء مثل هذه الأبحاث حبه للموسيقى ،

---

(١) أحد الشبان اللامعين فى الرياضيات فى كمبردج فى ذلك الوقت ، وأحد أصدقاء ڤتجنشتين القليلين — وقد مات أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهو الذى كان قد أهدى ڤتجنشتين إلى ذكراه أول مؤلفاته « رسالة منطقية فلسفية » .

(٢) *Von Wright* : Biographical Sketch, P. 6.

وفى هذا الصدد يقول فون رايت: « إن الإنسان يمكنه أن يحكم عليه بأنه موسيقى من أحسن طراز ، فقد كان يعزف على الكلارينيت ، كما كان يرغب فى وقت من الأوقات أن يصبح قائداً للأوركسترا ، وكانت عنده موهبة نادرة فى الصفير ، ولقد كان مما يدعو للسرور البالغ أن تستمتع إليه وهو يصفر كونشيرتو كاملا بطريقة متواصلة لا تنقطع إلا حين يقوم بلفت نظر السامع إلى بعض تفاصيل البناء الموسيقى نفسه » (١) .

ومع بداية الحرب العالمية الأولى التحق ڤتجنشتين بالجيش النمسوى كمتطوع على الرغم من أنه كان معفى من الخدمة العسكرية بسبب إصابته بمرض يمنع من تجنيده ، وعمل أولا على مركب حربى فى نهر الفستولا Vistula ثم فى أحد مصانع الأسلحة فى خراكوف Cracow وفى عام ١٩١٥ تلقى أمراً بالتوجه إلى أولميتز Olmutz فى مورافيا Moravia كى يتلقى تدريبه ليكون ضابطاً . وفى عام ١٩١٨ نقل من الجبهة الشرقية إلى الجبهة الغربية ، ثم وقع فى يد القوات الإيطالية أسيراً أثناء انهيار الجيش النمسوى — المجرى فى نوفمبر من ذلك العام ، وظل فى الأسر قرابة ثمانية أشهر — أى حتى أغسطس من العام التالى ١٩١٩ — بأحد معسكرات الاعتقال بالقرب من مونت كاسينو Monte Cassino فى جنوب إيطاليا (٢) .

وقد اختار ڤتجنشتين — بعد انتهاء الحرب — مهنة التدريس ، وتدرب فى الفترة بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٠ فى كلية المعلمين على التدريس فى المدارس الأولية فى ڤينا — ومارس التدريس فى الفترة بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٢٦ فى مختلف القرى السحيقة فى مقاطعتى شنيبرج Schneeberg وسمرنج Semmering فى جنوب النمسا . وكان ذلك متفقاً تماماً مع رغبته فى

---

(١) نفس المرجع السابق ، نفس الموضع .

(٢) *Pitcher, G.* : The Philosophy of Wittgenstein. (Prentice-Hall inc. Englewood Cliffs, N. Y., U. S.A., 1964), P. 5.

الحياة البسيطة المنعزلة ، إلا أن هذه المهنة لم تكن تلائمه تماماً لشعوره بأنه دائم الاحتكاك بالناس المحيطين به ، الأمر الذى أوصل ڤتجنشتين إلى أزمة خطيرة فى النهاية ، فاستقال من عمله وترك مهنة التدريس فى المدارس إلى الأبد .

وبدأ فى خريف عام ١٩٢٦ فى عمل استوعب كل وقته وجهده وتفكيره طوال سنتين كاملتين ، وكان ذلك العمل هو بناء منزل فى ڤينا لإحدى أخواته[١] ومما يذكر أن ڤتجنشتين هو الذى صمم المنزل ، وهو الذى بناه بنفسه .

كما أنه اشتغل أيضاً أثناء هذه الفترة نفسها بالنحت وعمل التماثيل فى استديو صديقه المثال دوربيل Dorbil ، والواقع أن ڤتجنشتين طوال هذه الفترة — سواء أثناء عمله بالتدريس أو أثناء بنائه منزل أخته — لم تنقطع صلته تماماً بالفلسفة . فقد زاره فى بوتشبرج Puchberg عام ١٩٢٣ أحد الشبان اللامعين فى كمبردج هو فرانك رامزى F.P. Ramsey وكان رامزى قد أسهم فى ترجمة رسالة ڤتجنشتين إلى اللغة الإنجليزية (ترجمة أوجدن Ogden) ، كما كتب وهو فى سن العشرين ملاحظة نقدية عن رسالة ڤتجنشتين فى مجلة مايند Mind[٢] ، وتكررت زيارة رامزى لڤتجنشتين فى النمسا مرة أخرى فى العام التالى — وكان رامزى يحاول إقناع ڤتجنشتين بالعودة إلى إنجلترا ولو فى زيارة ، وقد ساعد كينز Keynes ، رامزى فى جهوده فى هذا الصدد وقدم النفقات اللازمة لذلك ، وقد زار بالفعل ڤتجنشتين أصدقاءه فى إنجلترا فى صيف عام ١٩٢٥ . وظل ڤتجنشتين فى النمسا حتى نهاية عام ١٩٢٨ ، وتعرف إليه أثناء هذه الفترة موريس شليك Morits Schlick الأستاذ بجامعة ڤينا والذى اشتهر فيما بعد كمؤسس لجماعة ڤينا ، والذى كان قد تأثر تأثراً كبيراً بدراسته لرسالة ڤتجنشتين المنطقية الفلسفية ، كما تعرف إليه أيضاً فى تلك الأثناء عضو آخر من أعضاء هذه الجماعة هو

---

(١) *Von Wright*: Biographical Sketch, P. 12.

(٢) *Ramsey, F.P.* : The Foundations of Mathematics and Other Logical Essays. (London, Kegan Paul, 1931)

فريدريش ڤايزمان Friedrich Waismann ثم قرر العودة إلى كمبردج بعد أن استمع إلى بروير Brouwer يلقى محاضرة فى ڤينا عن أسس الرياضيات فى مارس من عام ١٩٢٨ ، فشعر فى تلك الأثناء أنه يجب أن يعود إلى الفلسفة لأن بإمكانه أن ينتج شيئاً إبداعياً خلاقاً فى هذا المجال [١]. وعاد فتجنشتين إلى كمبردج مع بداية عام ١٩٢٩ بعد غيبة طالت حوالى خمسة عشر عاماً[٢] وسجل نفسه أولا طالب بحث — إذ كانت فكرته أن يقوم بالتحضير لدرجة الدكتوراه فى الفلسفة ، لكن جامعة كمبردج أدخلت فى اعتبارها الفترة التى أمضاها ڤتجنشتين بها قبل الحرب ،واعتبرتها بمثابة فترة إعداد للتقدم لهذه الدرجة وأصبح بإمكان ڤتجنشتين أن يتقدم لنيل هذه الدرجة برسالته المنطقية الفلسفية ، التى كانت قد طبعت ونشرت قبل ذلك بحوالى ثمانى سنوات . وحصل فتجنشتين على الدكتوراه فى يونيه عام ١٩٢٩ وأصبح فى العام التالى — أى ١٩٣٠ — زميلا فى كلية ترينيتى [٣] . وقد عاش ڤتجنشتين فى إنجلترا منذ ذلك الوقت ، حتى وفاته ، وإن كانت قد تخللت هذه الفترة عدة زيارات قام بها إلى الخارج سواء إلى النرويج أو النمسا أو الولايات المتحدة الأمريكية .

وعلى الرغم من اكتساب ڤتجنشتين للجنسية الإنجليزية ، إلا أنه لم يكن معجباً بأساليب الإنجليز فى الحياة كما كان يكره الجو الأكاديمى فى كمبردج فى ذلك الوقت . وحينما انتهت مدة زمالته فى كلية ترينيتى عام ١٩٣٠ فكر فى زيارة الاتحاد السوفييتى وزاره بالفعل مع أحد أصدقائه .

وظل فتجنشتين فى كمبردج حتى نهاية العام الجامعى ٣٥ — ١٩٣٦ ثم رحل إلى النرويج وبقى فى كوخه المنعزل قرابة العام بدأ فيه فى تأليف كتابه « أبحاث فلسفية » Philosophical investigations ثم عاد إلى كمبردج

---

(١) *Von Wright* : Biograhical Sketch, P. 12.

(٢) *Maxwell John Carles worth* : Philosophy and Linguistic Analysis. (Duguense University Press Pittsburgh, Pa., U.S.A., Second impression 1961), P. 74

(٣) *Von Wright* : Biographical Sketch, P. 31.

عام ١٩٣٧ وخلف مور بعد ذلك بسنتين — أى عام ١٩٣٩ — على كرسى الفلسفة[١] ، ولما نشبت الحرب العالمية الثانية ساهم فيها أيضاً — كما ساهم فى الحرب العالمية الأولى من قبل — فعمل بعض الوقت بأحد المعامل الطبية فى نيوكاسل . ومما هو جدير بالذكر أن ڤتجنشتين كان يجد فى نفسه ميلا قوياً ورغبة شديدة فى الاشتغال بالطب حتى إنه قرر ذات مرة — فى أوائل الثلاثينيات — أن يترك الفلسفة نهائياً ويشتغل بالطب ، ويروى عنه أنه كان قد توصل إلى عدة كشوف علمية أثبتت نجاحها أثناء عمله فى نيوكاسل[٢] وإن لم تذكر الرواية طبيعية هذه الكشوف .

وعاود ڤتجنشتين قلقه من جديد ، وضيقه بحياة الرتوب الأكاديمى فى كمبردج ، فاعتزل كرسى الفلسفة بالجامعة مع نهاية العام الجامعى ١٩٤٧ ورجع مرة أخرى إلى عزلته واستقر هذه المرة — ابتداء من شتاء عام ١٩٤٨ — فى مزرعة بالريف الإيرلندى ثم انتقل منها إلى كوخ صغير فى جالواى Galway على الشاطئ الغربى لإيرلنده حيث عاش فى وحدة تامة على شاطئ المحيط ، حتى لقد أصبح ڤتجنشتين فى نظر جيرانه الصيادين البسطاء ، أشبه ما يكون بالأسطورة ، وخاصة أنه كان قد استأنس بعض الطيور التى تعودت أن تأتى إليه كل يوم كى يطعمها بنفسه .

إلا أن صحته لم تتحمل الجو على شاطئ المحيط ، فانتقل إلى أحد الفنادق فى دبلن وظل طوال هذه الفترة يعمل بجد كبير ، وأكمل بذلك الجزء الثانى من كتابه « أبحاث فلسفية »[٣] .

وقد مرض ڤتجنشتين فى تلك الأثناء مرضاً شديداً ، وتبين له فى خريف عام ١٩٤٩ — أثناء وجوده فى زيارة لكمبردج — أنه كان يعانى من السرطان ،

---

(١) نفس المرجع السابق ، صفحة ١٦ .
(٢) نفس المرجع السابق ، صفحة ١٧ .
(٣) نفس المرجع السابق ، صفحة ١٨ .

وذلك إثر عودته من زيارة قصيرة للولايات المتحدة بدعوة من تلميذه نورمان مالكوم أستاذ الفلسفة الحالى بجامعة كورنل ، وتوفى فى ٢٩ أبريل ١٩٥١ فى منزل الطبيب الذى كان يعالجه فى كمبردج [١] ، وكانت آخر عبارة قالها لزوجة الطبيب : « قولى لهم إننى قد عشت حياة رائعة » [٢] .

ب – شخصية الفيلسوف

كان ذلك عرضاً سريعاً لحياة ڤتجنشتين ، إلا أن ذلك العرض لا يكفى لإلقاء الضوء على جوانب شخصيته الفريدة. وسأحاول فى الصفحات القليلة المقبلة أن ألقى بعض الضوء الذى قد يكشف عن جوانب هامة من شخصيته لعل فى ذلك ما ينير أمامنا السبيل لتتبع تفكيره وتطور هذا التفكير . يصف نورمان مالكوم أحد تلاميذ ڤتجنشتين فى كمبردج أستاذه فى الرواية التالية فيقول : « رأيت ڤتجنشتين لأول مرة فى اجتماع نادى العلوم الخلقية فى كمبردج عام ١٩٣٨ ، وذلك حين أخذ أحد الحاضرين فى إبداء ملاحظة على إحدى المقالات التى تليت فى ذلك الاجتماع . وكان وهو يتكلم يجد صعوبة كبيرة فى التعبير عن نفسه ، وبدت كلماته كما لم تكن مفهومة بالنسبة لى . وحين همست إلى الشخص الجالس بجوارى متسائلا : من هذا ؟ أجابنى : أنه ڤتجنشتين . وقد دهشت لأننى كنت أتوقع أن يكون مؤلف « الرسالة المنطقية الفلسفية » الشهير رجلا متقدماً فى السن ، فى حين بدا هذا الرجل شاباً فى حوالى الخامسة والثلاثين (وكان عمره الحقيقى فى ذلك الوقت ٤٩ سنة) ، وكان وجهه نحيلا ، كما كان شكل وجهه الجانبى على درجة من الجمال ، فهو ذو أنف أقنى ، كما كان رأسه مغطى بخصل كبيرة من الشعر البنى . وقد لاحظت الاهتمام البالغ المملوء

---

(١) *Pitcher, G.*: The Philosophy of Wittgenstein, P. 10

(٢) *Malcom, N:* Ludwig Wittgenstein (A Memoir) P. 100

بالاحترام الذى وجهه إليه كل الحاضرين فى القاعة . وهو لم يتكلم كثيراً فى ذلك اليوم بل كان يبدو عليه بوضوح كما لو أنه كان يصارع أفكاره ، وكانت نظراته مركزة ، كما كان يبدى بيديه حركات كما لو كان يناقش أحداً ما . وقد ظل الجميع فى حالة صمت كامل حتى انتهى ڤتجنشتين [١] » . ويعبر فون رايت عن هذا المعنى أيضاً بقوله : « إن ڤتجنشتين كان رجلا غير عادى ، فهو بلا شك كان يقف متميزاً عن كل من حوله . وقد يكون قولنا بأنه كان يعيش على حافة المرض العقلى ، أقرب إلى الصدق — ولقد ظل الخوف من الوصول إلى حافة المرض ملازماً له طوال حياته [٢] » . وهو فى هذا قريب الشبه بالفيلسوف الألمانى نيتشه الذى ظل خوفه من الجنون ملازماً له حتى أصيب به بالفعل فى أواخر سنى حياته . إلا أن ڤتجنشتين ظل محتفظاً بقواه العقلية كاملة وبذكائه متوقداً إلى آخر لحظة عاشها — ويستطرد فون رايت قائلا : « إلا أنه من الخطأ أن نقول إن أعماله ومؤلفاته كانت تشوبها أى شائبة تدل على المرض والانحراف — فأعماله وأفكاره كلها جديدة أصيلة تماماً ، تتسم بأنها طبيعية صريحة ، خالية من كل تصنع وتكلف . . . وهذه هى الصفات التى كان هو نفسه يتحلى بها . . » [٣] ومن المرجح أن السبب فى ذهاب بعضهم إلى القول بأنه كان يعيش على حافة الجنون ، هو عزلته عن الناس فى كثير من الأحايين للتفرغ للفلسفة والتفكير والتأمل ، الأمر الذى دفعه إلى أن يلتجئ إلى النرويج وإلى أيرلندة عدة مرات لكى يخلو فيها إلى نفسه ويتفرغ للتفكير فى مشكلات الفلسفة . وفى هذا الصدد يقول رايت : « إن ڤتجنشتين كان يتجنب الشهرة ، كما كان يبتعد عن أى علاقة يمكن أن تربطه بمن يعتقد أن علاقته بهم ليست شيئاً مرغوباً فيها . ولم يكن أحد خارج الدائرة

---

(١) *Malcom, N:* Ludwig Wittgenstein (A Memoir), P. 23

(٢) *Von Wright:* Biographical sketch., P. 3.

(٣) نفس المرجع السابق ، نفس الموضع .

المحدودة المكونة من أسرته وأصدقائه الشخصيين ، يعرف أى شيء ، عن حياته وعن أخلاقه وسلوكه . وكانت عزلته هذه سبباً فى كثير من الروايات الخاطئة عن شخصيته ، وكانت بالتالى سبباً فى سوء فهم أفكاره وفلسفته ، وهذا واضح مما كتب عنه بعد وفاته فى كثير من المجلات العلمية »[١].

وكانت السمة البارزة فى ڤتجنشتين ذكاءه الشديد[٢] وصفاء عقله ، وقد عبر رسل عن ذلك بقوله حين وصف ڤتجنشتين « أنه كان على قدر كبير من التأثير لما له من النفاذ وصفاء العقل إلى درجة غير مألوفة على الإطلاق[٣] » ، كما كان يقول : « إن بداية معرفتى بفتجنشتين كانت أكثر مغامراتى العقلية إثارة طوال حياتى كلها »[٤] إلا أن رسل لم يكن هو الفيلسوف الوحيد فى كمبردج الذى لاحظ ذكاء ذلك الشاب النمسوى ، بل كذلك مور الذى قال عنه : « تعرفت على ڤتجنشتين فى كمبردج إذ كان فى السنة الأولى لالتحاقه بالجامعة يحضر محاضراتى فى علم النفس ، لكننى لم أعرفه جيداً إلا فى السنتين التاليتين — وحينما عرفته جيداً ، أدركت أنه كان أكثر ذكاء منى فى الفلسفة ، ولا أقول أكثر ذكاء فقط ، بل أكثر عمقاً كذلك »[٥] .

كان ڤتجنشتين يميل إلى البساطة فى كل شيء ، وكان ذلك يبدو واضحاً من ملابسه ، ومن أثاث حجراته فى كمبردج فلم يكن يتمسك فى ملابسه بالطريقة التقليدية فى الجامعة ، بل كان يرتدى دائماً بنطلوناً خفيفاً وقميصاً مفتوح الصدر (بلا رباط عنق) ، وسترة من الصوف أو الجلد — هذا فى الجامعة — أما خارجها فكان يرتدى قبعة من الصوف (التويد) ومعطف مطر داكن اللون « حتى إن الإنسان لا يمكنه أن يتخيل ڤتجنشتين مرتدياً حلة كاملة

---

(١) نفس المرجع السابق ، صفحة ٢

(٢) نفس المرجع السابق ، صفحة ١٩ .

(٣) برتراند رسل : صور من الذاكرة صفحة ٣٠ .

(٤) *Von Wright* : Biographical sketch, P. 6.

(٥) *Moore, G.E.* : An Autobiography. (in the Philosophy of G. E. Moore. editedby : Schilpp.) P. 33.

ورباط عنق وقبعة أنيقة ، وكانت ملابسه دائماً نظيفة جداً وحذاؤه لامعاً [١] » .

وطريقة ڤتجنشتين فى إلقاء محاضراته ، تكشف لنا عن أكثر من جانب من جوانب شخصيته ، مثل البساطة والجدية والإخلاص للعمل والحب الشديد للحق ، وأحياناً الخشونة والجفاء والقسوة ، فيروى مالكوم عنه أنه كان فى محاضراته — التى لم تكن محاضرات بالمعنى الحقيقى بل مجرد اجتماعات ، على الرغم من إصرار ڤتجنشتين على تسميتها بالمحاضرات [٢] — يتكلم بلغة إنجليزية وبلهجة الرجل الإنجليزى المثقف ، وكان صوته رناناً عالى النبرة وإن لم يكن منفراً ، ولم تكن الكلمات تخرج من فمه متدفقة بل بعد جهد كبير . وكان وجهه سريع الحركة بطريقة ملحوظة كما كان معبراً جداً أثناء الحديث ، وكانت عيناه عميقتين وغالباً ما كانتا تحملان شيئاً من القسوة فى التعبير [٣] » .

والطريقة التى كان يستخدمها ڤتجنشتين فى إعداد محاضراته — كما أخبر بذلك مالكوم فيما بعد — أنه كان يقضى عدة دقائق قليلة قبل لقائه بمستمعيه يتذكر فيها النتائج التى وصل إليها فى بحثه أثناء لقائه السابق ، كما كان فى بداية المحاضرة يلقى أحياناً ملخصاً سريعاً لما فات ، يبدأ منه مباشرة إلى أفكار جديدة دائماً [٤] .

وكانت المحاضرة تقوم على طرح سؤال ما يقترح أحد الحاضرين إجابة عنه ، وكانت الإجابات بدورها تؤدى إلى أفكار جديدة وتؤدى بالتالى إلى أسئلة جديدة ، وكان ذلك متوقفاً إلى حد كبير على الحاضرين الذين كان أغلبهم من كبار المتخصصين فى مختلف المجالات ، فكان مور يتردد على محاضرات

---

(١) Malcom, N.: Ludwig Wittgenstein (A Memoir), P. 25

(٢) نفس المرجع السابق ، صفحة ٢٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ، صفحة ٢٤ .

(٤) نفس المرجع السابق ، نفس الموضع .

ڤتجنشتين لعدة سنوات ابتداء من عام ١٩٣٠ [١]، كما حضر بعض الفلاسفة الإنجليز والأمريكيين المعاصرين محاضرات ڤتجنشتين فى كمبردج [٢] .

وفى بعض الأحيان كان ڤتجنشتين يحاول أن يصل بنفسه إلى فكرة جديدة ، فيمنع كل مناقشة أو حوار أو أسئلة بإشارة من يده — ثم يتبع ذلك فترات صمت تقطعها تمتمات ڤتجنشتين التى يتتبعها الحاضرون باهتمام بالغ . وفى أثناء هذه الفترات من الصمت كانت نظراته دائماً مركزة ، ووجهه يشع حياة ويداه تقومان بحركات كثيرة ، ويقول مالكوم إن الإنسان كان يشعر فى مثل هذه الحالات أنه يجالس أمام شخص جاد إلى أقصى حد ، مستغرق إلى أقصى حد ، أمام قوة كبيرة من الذكاء [٣].

وكانت شخصية ڤتجنشتين هى السائدة فى هذه الاجتماعات ، أو هى كما يذكر مالكوم كانت شخصية آمرة بل شخصية طاغية [٤].

ويرى مالكوم أن قسوة فتجنشتين كانت نتيجة لحبه الشديد للحق ، فهو فى حرب دائمة مع أعمق مشكلات الفلسفة ، بحيث كان حل إحدى هذه المشكلات يؤدى إلى مشكلة أخرى . . . وهكذا . . . وهو لم يكن يكتفى بمجرد معالجة المشكلات الفلسفية بطريقة سطحية ، بل كان يتطلب فهماً كاملا لها ؛ ولذا فقد كان يدفع نفسه بكل قواه لحلها وتحليلها ، الأمر الذى كان يجعل كل كيانه فى حالة توتر . وكل من كان يحضر محاضرات ڤتجنشتين يدرك بوضوح أنه كان

---

(١) وقد سجل مور أهم أفكار ڤتجنشتين فى هذه الفترة (بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٣٣) ونشرها فى مجلة Mind فى أعداد : يناير سنة ٥٤ ، يناير سنة ٥٥ ويوليو سنة ١٩٥٤ .

ثم نشرت كاملة فى كتاب مور Philosophical Papers « بحوث فلسفية » عام ١٩٥٩ الذى أعيد طبعه عام ١٩٦٣ .

(٢) Von Wright : Biographical sketch, P. 17

(٣) Malcom, N.: Ludwig Wittgenstein, (A Memoir), P. 26

(٤) نفس المرجع السابق ، صفحة ٢٤ .

يبذل جهداً فى شحذ ذكائه إلى أقصى حد[١] . ومع ذلك فلم يكن ڤتجنشتين راضياً عن نفسه أو عما يقوله فى كثير من الأحيان ، فنراه يردد أحياناً فى بعض المحاضرات عبارات أشبه بالقول « إننى أشعر بغباء شديد اليوم » أو « إن لكم أستاذاً فظيعاً . . [٢] !

كان ڤتجنشتين واعياً بالجهد الكبير الذى يبذله فى محاضراته ، الأمر الذى جعله يعتزل كرسى الفلسفة فى كمبردج عام ١٩٤٧ ، فضلا عن نصيحته المستمرة لتلاميذه المقربين بالتخلى عن فكرة العمل بتدريس الفاسفة ، فقد حاول ڤتجنشتين عام ١٩٣٩ أن يقنع نورمان مالكوم بالتخلى عن فكرة أن يصبح مدرساً للفلسفة ، وسأله عما إذا كان يعتقد أن الإنسان الطبيعى السوى لا يستطيع أن يكون أستاذاً للفلسفة بالجامعة ، ويكون فى نفس الوقت شخصاً جاداً أميناً [٣]. وقد جدد ڤتجنشتين محاولته معه أكثر من مرة لإقناعه بالتخلى عن مهنة تدريس الفلسفة ، كما قام بمثل هذه المحاولات مع طلبة آخرين أيضاً [٤] .

ولم يكن ڤتجنشتين بصفة عامة مهتماً بالجانب المادى فى الحياة ، كما لم يكن حريصاً كل الحرص على جمع الثروة ، بل كان على العكس تماماً — وخير ما يشهد بذلك الحادثتان التاليتان :

١ — بعد وفاة أبيه عام ١٩١٢ ، أصبح ڤتجنشتين يمتلك ثروة كبيرة تنازل عنها كلها بعد عودته من الحرب العالمية الأولى مباشرة[٥]، ويعزو البعض سبب تخليه عن الثروة إلى :

---

(١) نفس المرجع السابق ، نفس الموضع .
(٢) نفس المرجع السابق ، صفحة ٢٦ .
(٣) نفس المرجع السابق ، صفحة ٣٠ .
(٤) نفس المرجع السابق ، نفس الموضع .
(٥) *Von Wright* : Biographical sketch, P. 10.

(ا) شعوره بالإثم لحصوله على ثروة لم يكتسبها بجهده بل عن طريق الميراث .

(ب) رغبته فى الابتعاد عن كل التعقيدات المتعلقة بالميراث وبالثروة نفسها ، وخاصة من الناحية الإدارية والحكومية .

(حـ) رغبته فى ألا تكون ثروته وأمواله هى أساس التفاف الناس حوله ، أو أساساً لصداقة زائفة لا تقوم إلا على رغبة فى الاستفادة منه ماليًّا [١].

ويؤيد ڤتجنشتين بنفسه التفسير الثالث ، كما يذهب رسل إلى أن أساس تنازل ڤتجنشتين عن ثروته هو أن الثروة لا تعدو أن تكون عبئاً ومضايقة للفيلسوف [٢].

إلا أننى أميل إلى الاعتقاد — حتى مع صحة هذه التفسيرات — إلى أن السبب الأساسى الذى جعله يتنازل عن ثروته هو تأثره البالغ بتولستوى . فأثناء الحرب العالمية الأولى ، وقع صدفة على كتابات تولستوى عن الأناجيل Gospels التى يذكر ڤتجنشتين أنها تركت فى نفسه أثراً كبيراً [٣] ويتضح ذلك التأثير الكبير إذا ذكرنا أن تولستوى كان قد فعل نفس الشئ وتنازل عن جميع أمواله وثروته الطائلة . بل حتى عن ألقابه ومات فقيراً معدماً [٤] .

٢ — أنه لم يكن يتخلى عن أصدقائه بمساعدتهم بالمال الذى قد يحتاجون إليه — بدون أن ينتظر إعادة هذا المال إليه مرة ثانية — وفى هذا الصدد يروى مالكوم الرواية التالية قائلا : « على الرغم من كل المحاولات التى كان يبذلها

---

(١) *Pitcher, G. :* The Philosophy of Wittgenstein, P. 13

(٢) برتراند رسل : صور من الذاكرة ، صفحة ٢٩ .

(٣) *Malcom, N :* Ludwig Wittgenstein. (A Memoir), P. 70

(٤) محمود الخفيف : تولستوى — القاهرة — مطبعة الرسالة ، ١٩٤٨ .

ڤتجنشتين لكى يجعلنى أتخلى عن مهنة التدريس ، إلا أنه ساعدنى بالفعل على الاستمرار فى دراستى للفلسفة فى كمبردج لمدة ستة أشهر ، وكان ذلك على النحو الآتى :

كانت كل مصروفاتى ونفقاتى تدفعها جامعة هارفارد من منحة كنت أستفيد منها لمدة سنتين غير قابلة للتجديد — وفى صيف عام ١٩٣٩ نفدت كل مواردى بانتهاء مدة المنحة وأصبحت مضطراً للعودة إلى الولايات المتحدة . إلا أننى كنت راغباً فى البقاء فى كمبردج لمدة أطول ، فقد كانت الأفكار الفلسفية الموجودة فى كمبردج فى ذلك الوقت تثيرنى إلى حد كبير ، كما أننى اعتقدت أننى كنت قد بدأت أفهم فهماً أولياً عمل ڤتجنشتين ذلك الفهم الذى كنت أرجو أن يزداد ويضطرد . وذات مرة حينما كنت مع ڤتجنشتين ذكرت له ما أتوقعه من عودتى إلى الولايات المتحدة فى تلك الأثناء . وقد أراد ڤتجنشتين أن يعرف كل شىء عن الموضوع ، فلما رويت له الأمر كله قال إننى كنت مفتوناً بفلسفة كمبردج وبأنه سيكون أمراً يدعو للرثاء لو أننى غادرتها فى مثل هذه الحالة — وكان يقصد بذلك أننى إذا بقيت فى كمبردج لمدة أطول وعرفت فلسفتها بشكل أوضح فلن أظل متأثراً بسحرها ، الأمر الذى يعتبر فى نظر ڤتجنشتين — شيئاً طيباً يستحق البقاء . وقد فكر فى تزويدى بالنقود الكافية لبقائى فى كمبردج لمدة الأشهر الستة التالية ، وهذا ما نفذه بالفعل — فكان يعطينى (ولا يقرضنى) مبلغاً معيناً كل شهر فى الفترة بين أغسطس ١٩٣٩ ويناير ١٩٤٠ وهو تاريخ عودتى إلى الولايات المتحدة ، وكانت جملة المبلغ الذى أعطانى إياه فى أثناء تلك الفترة تبلغ حوالى الثمانين جنيهاً ، وهو لم يكن ينتظر إعادة المبلغ إليه ثانية . . [1] »

وعلى الرغم من ميل ڤتجنشتين إلى العزلة، فقد كان فى حاجة إلى الصداقة لا مجرد المعرفة العابرة السطحية ، وكان يتشكك فى شعور أصدقائه ويتمنى

(١) *Malcom, N.* : Ludwig Wittgenstein. (A Memoir) , P.P. 30 - 37.

لو أنه كان شعوراً خالصاً من أى غرض أو منفعة — وفى هذا الصدد يقول مالكوم : «كان ڤتجنشتين يشك فى أن أصدقاءه كانوا مرتبطين به لا حبًّا فيه بل اهتماماً به كمصدر للإلهام الفلسفى ، وقد ذكر لى مرة أنه قد تخلى عن ثروته حينما كان شابًّا حتى لا يكون من بين أصدقائه من يعتمد عليه أو يطمع فيه ، ولكنه الآن أصبح يحتمى أن تكون صداقتهم له من أجل الفلسفة التى يستفيدونها منه ويتعلمونها عنه . وبمعنى آخر فهو كان يطمع فى اكتساب صداقة من لا يريدون منه أى شىء [١]» .

وكان بالإضافة إلى كل الصفات السابقة قوى الشخصية بصفة عامة نزيهاً مستقيماً محبًّا للحق كريم الخلق وإن كانت تغلب عليه دائماً نزعة التشاؤم [٢] فضلا عن ذكائه الشديد وأمانته وصدقه وإحساسه القوى بمعنى الواجب .

ومما هو جدير بالملاحظة وجه الشبه الكبير بين ڤتجنشتين وسقراط فى الحياة والأخلاق فكل منهما أثر تأثيراً بالغاً فى تلاميذه من الناحية العقلية والناحية السلوكية والخلقية [٣] وكل منهما استخدم فى تعليم الفلسفة منهج المناقشة والجدل بدلا من طريقة المحاضرات ، فقد ظن كل منهما أن المعرفة الفلسفية يمكن أن تنتقل بكل بساطة من ذهن المعلم إلى ذهن التلميذ بواسطة منهج جدلى يقوم على توجيه الأسئلة والإجابة عنها بحيث يصل التلميذ نفسه إلى رؤية الحق .

وكان كل منهما قاس مع تلاميذه على الرغم من حبه إياهم . كما كان كل منهما شديد الإخلاص لأفكاره ومثله العليا وهجر كل شىء فى سبيل الفلسفة . كما كان عند كل منهما إحساس قوى بفكرة الواجب وبالاستعداد للمخاطرة بالنفس فى سبيل خدمة الدولة والدفاع عنها ضد الخطر .

وأخيراً كان كل منهما يرحب بالموت ، وواجهه كل منهما بكل شجاعة [٤] .

---

(١) نفس المرجع السابق ، صفحة ٦٠ .

(٢) نفس المرجع السابق ، صفحة ٣٢ وصفحة ٧٢ .

(٣) نفس المرجع السابق ، صفحة ١٤ .

(٤) *Pitcher, G.*: The Philosophy of Wittgenstein. P. 13.